

أسلمة المعرفة عند محمد عمارة و عبد الوهاب المسيري

علم النفس نموذجاً -

عدة بشير¹، نور الدين شعني²

1_ جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر

bachir.adda@univ-mascara.dz

2_ جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر ،

noredline.chaanebi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/12؛ تاريخ القبول: 2025/04/29

Abstract: This paper aims to examine two pioneers of the Islamization of the social and human sciences, who contributed to introducing and expanding this concept through the body of knowledge they left behind after their deaths, may God have mercy on them. These two scholars, Muhammad Amara and Abd al-Wahhab al-Messiri, will attempt to answer a set of questions about their concept of the Islamization of psychology, their scientific and intellectual background, and finally, their justifications for this project. These two scholars were chosen for the intellectual and literary wealth they provided on this topic, as well as the presence of some similarities and differences in their approaches to the project of Islamizing knowledge, particularly psychology.

Keywords: Islamization of knowledge; Abd al-Wahhab al-Messiri; Muhammad Amara; Islamic psychology; cognitive model

الملخص:

تهدف هذه للداخلية الى دراسة نمودجين من رواد أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية والذان ساهما في تقديم و توسيع هذا المفهوم من خلال الكم المعرفي للمذي تركوه بعد وفاتهما رحمهما الله، وهما محمد عمارة و عبد الوهاب الم سيدي، و سنحاول الاجلبة عن مجموعة الة ساؤلات حول مفهومها عن أسلمة علم النفس وخلفيتها العلمية و الفكرية، وأخيرا مبرراتهما لهذا الم شروع وتم اختيارهذين العالمين لما قدماه من ر صيد معرفي و ادبي بخصوص هذا الموضوع، و وجود بعض الة شلبة و الاختلاف في توجهاتهما نحو الم شروع إ سلامية المعرفة و خصوصا علم النفس.

الكلمات المفتاحية: أسلمة المعرفة؛ عبد الوهاب المسيري؛ محمد عمارة؛ علم النفس الاسلامي؛ النموذج المعرفي

1-مقدمة:

ان نجاح أي فكرة لا يكفي بصحتها او أصالتها بل بفاعلية أصحابها ليتمكنوا من تحويلها الى الفعل، فكم من فكرة خاطئة استمدت قوتها و دعمها و بقائها لقرون لوجود من يؤمنون بها و يبقائها و يحولوها الى مشاريع و مؤسسات و يدعمونها بالمال و النفس و العكس أيضا، ففكرة أسلمة المعرفة والعلوم الاجتماعية والإنسانية طرحت من طرف مجموعة

من الباحثين المسلمين، الذين تميزوا بدراستهم في اعرق الجامعات الغربية للعلوم الانسانية والاجتماعية، وارتقوا فيها الى أعلى الشهادات الأكاديمية، مما مكنهم من التعرف على الخلفيات الثقافية لمختلف النظريات المؤسسة للعلوم الاجتماعية والانسانية ، والتي صبغت بعضها بفلسفات إلحادية مستمدة من ديانات وثنية يونانية أو مسيحية أو يهودية ، فاجتهدوا وجاهدوا المغريات والمكتسبات العلمية، وقدموا أوقات من أعمارهم في البحث والجهد للتعرف اكثر على هذا الفكر الغربي المخالف لعقيدة المسلم المرتبط بهذه العلوم الاجتماعية والإنسانية ، والتحرر منه من خلال تقديم بديل لا يخالف عقيدته، و قد شبه الدكتور بدري هذا الواقع بمثل ما روي عن رسول الله ببحر الضب وواجب العلماء الان هو اعتناق هؤلاء الاخصائيين النفسانيين والمجتمعات من هذا البحر المتعدد المسالك.

و ساهمت مجموعة من الأستاذة والمفكرين في هذا المشروع من أمثال الفاروقي ، و البدري و عمارة ، والمسيري وعشوي و... من خلال تأسيس مشاريع علمية تهدف الى حل هذه الإشكالية، نذكر منها المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ومراكز أبحاث متخصصة في العلوم الاجتماعية والإنسانية، ومن بين التخصصات التي تم التركيز عليها نجد علم النفس الذي يعتبر النواة التي تزود العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى تصورها عن طبيعة الانسان وغرائزه و دوافعه بصورة علمانية شاملة نفعية لا

أخلاق لها ولا مرجعية تستغله و تحوله الى سلعة او مستهلك يمكن تسويقه،
لكن تبقى هاك اختلاف بينهم من حيث المبررات و المفاهيم حتى سبل
الخروج من هذا جحر الضب.

فمن خلال هذه المداخلة سنحاول الإجابة عن التساؤل التالي :

ماهي المبررات الفكرية لمشروع أسلمة العلوم وعلم النفس خصوصا عند
محمد عمارة و عبد الوهاب المسيري؟

2-أهداف البحث :

تهدف هذه الورقة البحثية الى ابراز نماذج من تيارات الأسلمة، مختلفين من
حيث التكوين الاكاديمي والفكري و لكنهما ساهما من خلال أعمالهم في
هذا المشروع ، نركز على المبررات التي كانت سبب في تبنيهما هذا المشروع
و أوجه التشابه والاختلاف بينهما .

و نعتد على منهج المقارن، الذي يخدم حقل الدراسة خاصة ونهتم بصد
دراسة بين شخصيتين أفاضتا البحث و التمحيص في مجال العلوم
الاجتماعية والإنسانية ، وتركنا منشورات و مساهمات هامة في هذا الحقل
المعرفي و خاصة في مشروع الاختلاف بين النموذجين الغربي والإسلامي
في المعرفة .

3- مفهوم إسلامية المعرفة عند محمد عمارة:

1-3 سيرة محمد عمارة :

ولد محمد عمارة في مصر، بقرية صروة- مركز قلين بمحافظة كفر الشيخ، في 8 ديسمبر 1931م، من أسرة فلاحية متدينة ، حفظ القرآن وجوده بكتاب القرية، وفي سنة 1945 التحق بمعهد دسوق الديني الابتدائي، التابع للأزهر الشريف، ومنه حصل على الابتدائية عام 1949.. ثم على الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الأحدي عام 1954.. ثم التحق بدار العلوم ليتخرج فيها عام 1965م. ثم حصل على الماجستير منها عام 1970 عن أطروحة (المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية).. وعلى الدكتوراه عام 1975 بأطروحة عن (ظرية الإمامة فلسفة الحكم عند المعتزلة).. وتوفي سنة 2020 عن عمر يناهز 89 عاما (السنوسي، 2024)

ومن المحطات المثيرة في حياة محمد عمارة أنه تعرض لاعتقالات خلال نشاطه الفكري في جامعة القاهرة عام 1959، و يعتبر من بين اسباب مواقفه اليسارية و انتمائه لهذا التيار و تأخر حصوله على شهادة الليسانس، و في مرحلة الدراسات العليا نجد اهتمامه بالمعتزلة في مرحلتي الماجستير و الدكتوراه.

2-3 محمد عمارة والتوجه الفكري اليساري:

من خلال متابعة سيارته الذاتية نجد تحولات فكرية ، ورغم البيئة الإسلامية التي ترعرع فيها و حفظ القرآن من خلاله ، لكنه تبنى التيار الماركسي و

تأثر به ادخل السجن بسببه، ثم تحول الى المعتزلة و أخير التيار الإسلامي الوسطي كما يعرفه هو ، فهذه التيارات الفكرية ساهمت في تميزه و بنائه الفكري لنموذج إسلامي يسمح بنقد النماذج الغربية، و هذا ما يسمح له بطرح رؤى بديلة لهذه النماذج و خاصة في المعرفة تساعد في صناعة تصور إسلامي لها .

و لكن للتعرف اكثر على فكر الدكتور محمد عمارة رحمه الله ، سنتطرق الى أسباب هذه التحولات المعرفية في حياته المعرفية ، و من خلال مقال منشور في مركز مجدد للدراسات و الأبحاث (2024) التي يشرح الدكتور محمد عمارة الأسباب في قضيتين اساسيتين و هما :الفئة الاجتماعية من المجتمع المصري التي كان يعيش فيها و التي كان يمارس عليها الظلم و القهر و الاستبداد يوميا ، واهتمام الحركة اليسارية بمشاكلها و طرحه و الداعية الى القضاء على ذلك الظلم.

وأيضا بروز الفكر الماركسي في هذه المرحلة وسط النخب ، و شعاراته التحررية و الشعبوية ، هي محط جذب من خلال أحداث نضال اجتماعي و مساندة الطبقة العاملة الفقيرة و تحقيق العدالة الاجتماعية.

لكن ما يلاحظ في هذه الفترة من تبنيه لهذه الأفكار هو انه لم يلتفت الى الجدور الفلسفية لهذا التيار و خاصة الطرح المادي للأشياء ولكن كان الاهتمام فقط في الحرية والعدالة والمساواة.

3-3 محمد عمارة والتوجه الفكري الإسلامي

و تعتبر فترة السجن مرحلة تحوله من اليسار الى الإسلام الوسطي، فيقول في إحدى حواراته مع إحدى الجرائد أنه دخل اليسار من باب الدفاع عن القضايا الثورية والعدالة الاجتماعية. لكنني اكتشف أن حل المشكلة الاجتماعية هو في الإسلام وليس في الصراع الطبقي والماركسية.

و يعرف التيار الإسلامي الذي ينتمي اليه فيقول إنها الوسطية الجامعة التي تجمع بين عناصر الحق والعدل من الأقطاب المتقابلة فتكون موقفاً جديداً مغايراً للقطبين المختلفين، ولكن المغايرة ليست تامة، فالعقلانية الإسلامية تجمع بين العقل والنقل، والإيمان الإسلامي يجمع بين الإيمان بعالم الغيب والإيمان بعالم الشهادة، والوسطية الإسلامية تعني ضرورة وضوح الرؤية باعتبار ذلك خصيصة مهمة من خصائص الأمة الإسلامية والفكر الإسلامي، بل هي منظار للرؤية وبدونه لا يمكن أن تبصر حقيقة الإسلام، وكأنها العدسة اللامعة للنظام الإسلامي والفكرية الإسلامية. والفقهاء الإسلامي وتطبيقاته فقه وسطي يجمع بين الشرعية الثابتة والواقع المتغير، أو يجمع بين فقه الأحكام وبين فقه الواقع، ومن هنا فإن الله جعل وسطيتنا جعلاً إلهياً: جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا . (الهيئة العامة للقرآن الكريم، 2024)

3-4 إسلامية المعرفة عند محمد عمارة

يعرفها محمد عمارة في كتابه إسلامية المعرفة ماذا تعني (2006)، بانها بديل إسلامي، ومذهب إسلامي في المعرفة يقابله ويخالفه المذاهب المادية والوضعية والحسية في المعرفة ، وإقامة الدليل على أن هذا هو مكان وخطر هذه القضية كانتا البديل الإسلامي في المعرفة الذي واجه به القرآن الكريم مذاهب و الشرك فى المعرفة المادية.. وكانت البديل الإسلامي في المعرفة الذى واجه به فكرنا الإسلامي المبكر مذاهب الديانات الوضعية وفى المعرفة الحسية - التجريبية عندما رأتها هذه المذاهب مصدرا وحيدا لمعارف الإنسان فكانت هى - إسلامية المعرفة (عمارة، 2006، صفحة 3)

و يعتبرها أيضا أنها : مقالة الإسلاميين - فى المعرفة الإنسانية - التى واجهوا بها مقالات غير الإسلاميين فى هذا الميدان و كانت كذلك فى النشأة وفى التطور كما هى الآن عندما يطرحها هذا الشعار الجديد - إسلامية المعرفة - ليواجه بهار مذاهب الحضارة الغربية فى المعرفة.. المادية منها والوضعية والتجريبية.. والوضعية المنطقية والسلوكية وغيرها منا المذاهب التى تشترك فى نفى العلاقة بين كتاب الوحي - وبين كتاب الوجود - المدرك بجواس الإنسان (عمارة، 2006، صفحة 6)

فهو يضع مفهوم الإسلامية بمكانة المذاهب الفكرية التى يجب ان يؤسسها المسلم ليقدم من خلالها بديله الحضاري للإنسانية من خلال ربط عالم وجود الموجودات بكتاب الوحي و هو القرآن الكريم و سنة رسول الله ، و نجد أيضا يذكر المذاهب الوضعية و التى تحتوي على براديجمات معرفية

و يركز على المادية منها، فمذهب إسلامية المعرفة هو براديجم يخالف هذه البراديجمات في رؤيتها الابيستمية للمعرفة عامة و علم نفس خاصة .

3-5 اسلامية علم النفس عند محمد عمارة:

من خلال التحول لذي عرفه محمد عمارة فقد تعرف اكثر على الخطاب المادي وتوسعه في مختلف العلوم وخاصة العلوم الإنسانية و الاجتماعية التي جمعها تصورات مشتركة حول الانسان ، و وبالاخص علم النفس الذي يؤسس لهذه التصورات، فساهمت تجربته الماركسية في توضيح هذ التصور و اختلافه عن التصور الإسلامي عن الانسان الخليفة، فالتصور المادي طغى من خلال الفلسفة الوضعية الذي سادت في بداية القرن التاسع عشر و الذي اعتمد التجربة الحسية فقط هي مصدر للمعرفة و من خلالها اعتمادها على المنهج التجريبي السبيل الوحيد للحصول على المعرفة ، و اعتبرت الدين واو المرحلة اللاهوتية هي مراحل سابقة في تطور العقل والتي تبتعتها مرحلة الميتافيزيقا واخيرا المرحلة الوضعية وقوتها من العلوم الطبيعية ومنهجها . فقد عبر عنها محمد قطب في التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية (1998) فقال : الظروف التي مرت بها اوروبا وانتجت الانفصام بين العلم والدين ، هي ظروف أوروبا وحدها وليست ظروف عالمية ، فالمعايير التي أنشأتها تلك الظروف هي كذلك معايير محلية خاصة ، ليس لها صفة العموم ،ولا صفة اللزوم ، ليست معايير إنسانية كما يحلو لأوروبا أن تتصورها، و بدافع الغرور الذي أنشاه

النجاح الحاضر للغرب ، الذي جعله يتوهم ان الغرب هو العالم ، و أن معاييرها يجب ان نخضع لها البشرية كافة وان من اختلف عنها فهو المخطئ وينبغي ان يعدل موقفه ، و ينقاد الى المعيار الصحيح.

فمن خلا هذه الظروف جاءت أفكار محمد عمارة لبناء منهج الإسلامي الذي يكون مرجعية لباقي مناهج العلوم فهو يتحدث عن هذا المشروع من خلال كتابه معالم المنهج الإسلامي (1991) فيقول

انه مهمة تغاير مهمة تحديد مناهج البحث في فروع المعرفة و مختلف العلوم ، فتشخيص أزمة الفكر الإسلامي ، و تلمس معالم المنهج الإسلامي - بالقياس الى البرامج الإسلامية- ومناهج البحث- المتخصصة والخاصة هو أشبه ما يكون بالصناعة الثقيلة -الصناعة التحويلية -صناعة أدوات الإنتاج -بالقياس الى حرف الصناعة الخفيفة ،صناعة أدوات الحياة اليومية و يقول أيضا فما نحن بصدد محاولته هو صياغة منهج حياة للمسلم المنهج الام اذا جاز التعبير الذي هو السبيل صياغة الإسلام كمشروع حضاري ، بما يتضمنه هذا المشروع من برامج مرحلية لتغيير الواقع ،ومن مناهج بحثي المعارف والعلوم .

فهذه الرؤية التي يحملها محمد عمارة في كتبه و أفكاره حول الأسلمة ، يجعل اهتمامه ينصب حول المسلمات التي يبنى عليها علم النفس او النموذج المعرفي الإسلامي الذي يتم بنائه ، و الذي ساهم في وضع البديل

الإسلامي لعلم النفس، وهذه الرؤية نجدها تتركز حول الانسان -الله- الطبيعية والمخلوقات، فيقول مثلا في ندوة حول اسلامية المعرفة في النماذج المعرفية والأسئلة الكلية: أفكار وتصورات أولية (1993) يقول أن مشروع إسلامية المعرفة له مرتكزات معرفية وهي تمثل مسلمات لكل العلوم وخاصة علم النفس لارتباطها بتصوير الطبيعة البشرية:

- نموذج الخالق وهو الله الواحد الاحد المنزه الذي ليس كمثله شيء
- نموذج الانسان في علم النفس هو ضد نظرة سيد الكون أو الحقير و خلاصه في الهوان ، بل هو عبد لله وخلفية على الأرض .
- نموذج العالم هو مخلق وتحكمه أسباب مخلوقة و هي اسبابا فاعلة و مطردة دون حتمية.

فمثلا مبدا الاشتراط عند بافلوف يختلف عن ما تم استخدامه في المنظور الإسلامي وخاصة من حيث منهجية البحث و النتائج السببية ، فمبدا السببية في المنظور الإسلامي يعتمد على المسلمات وفق الرؤية الإسلامية التي لا تلغي الغيب.

من خلال التعريف السابق نلاحظ ان الدكتور محمد عمارة يؤكد مبدأين في إسلامية المعرفة وهما :

التواصل بين التصور الإسلامي للكون و المعارف الإنسانية .

الانقطاع عن كل مذهب يجعل العالم المادي المحسوس فقط هو المصدر الوحيد للعلم الإنساني.

يوضح كيف الوصل بينهما من خلال اجتهاد العلماء فيقول : ان اجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء في الفروع والجزئيات وفي : التقعيد فإن علوم الكون ومعارفه بشرية -مدنية و الموضوع والكلية والمنطلقات وإسلاميتها إنما تعنى إيجاد علاقة بينها وبين السنن الإلهية التي جاء بها الوحي في الكون و الإنسان والاجتماع.. وكذلك توظيف هذه العلوم والمعارف - عن : طريق أسلمة فلسفتها - لتحقيق المقاصد والغايات الشرعية و التي حددها الوحي حكمة لخلق الله سبحانه وتعالى الكون و الإنسان

فعلاقة كتاب الوحي بالمعارف قائمة - أو يجب أن تقوم - في كل أنواع المعارف والعلوم. لكن المدى المحقق و للإسلامية في هذه المعارف والعلوم يتفاوت، كما و كيفا، في الإلهي - الشرعي منها عن البشري - المدني - .. كما يتفاوت في الإنساني والاجتماعي- منها عن الطبيعي - (عمارة، 2006)

4- مشروع المسيري في أسلمة علم النفس:

1-4 سيرة عبد الوهاب المسيري

عبد الوهاب المسيري، مفكر عربي إسلامي وأستاذ غير متفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس. وُلد في دمنهور 1938 وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي (مرحلة التكوين أو البذور). التحق عام 1955 بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وعُين معيدًا فيها عند تخرجه، وسافر إلى الولايات المتحدة عام 1963 حيث حصل على درجة الماجستير عام 1964 (من جامعة كولومبيا) ثم على درجة الدكتوراه عام 1969 من جامعة رُتْجِرز Rutgers (مرحلة الجذور). وعند عودته إلى مصر قام بالتدريس في جامعة عين شمس وفي عدة جامعات عربية من أهمها جامعة الملك سعود (1983 - 1988)، كما عمل أستاذًا زائرًا في أكاديمية ناصر العسكرية، وجامعة ماليزيا الإسلامية، وعضو مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام (1970 - 1975)، ومستشارًا ثقافيًا للوفد الدائم لجامعة الدول العربية لدى هيئة الأمم المتحدة بنيويورك (1975 - 1979). عضو مجلس الأمناء لجامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية بليسبرج، بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومستشار التحرير في عدد من الحوليات التي تصدر في ماليزيا وإيران والولايات المتحدة والمجلترا وفرنسا. توفي سنة 2008. (المسيري، 2024)

2-3 المسيري و التيار الماركسي:

عرفت تجربة المسيري تنوعاً فكرياً، و عاصر الثورة المصرية وكبت الحريات الذي عرفته، و مع ظهور التيار الماركسي الذي كان يدعى الى العدالة و محاربة الظلم، و هذا ما جعل المسيري يتجه نحوه مثلما تحدثنا عن محمد عمارة رحمهما الله ، فيصرح في كتابه عن السبب في تبنيه التيار الماركسي فيقول : وبما أنني كنت ثائراً ضد الظلم الاجتماعي، كان من الحتمي تقريباً أن أتوجه للماركسية. وقد أعطاني صديقي سعيد البسيوني بعض الكتب عن هذا الموضوع، كما أن أصدقائي الأجانب كان عندهم الكثير من الأدبيات الماركسية. ثم فتحت المكتبات السوفيتية التي كانت تباع الكتب السوفيتية (والماركسية) بأسعار رخيصة، فاشتريتها الكثير منها، وبدأت أقرأ فيها بنهم. وكان اهتمامي بالماركسية فكرياً في بداية الأمر، إلى أن التقى بي أحد أعضاء حدوتو وجندني عضواً في الحزب عام 1955. وفوجئت بتصعيدي في الحزب نظراً لمعرفتي باللغة الإنجليزية والمصادر الأولية للفكر الماركسي. وقد قمت بترجمة كتاب ماوتس تونج عن التناقض عام 1957 (عمان، 2024)

و قد كان تبنيه هذا التيار و اقتناعه بأفكاره و ممارساته حتى انه كان يرفض ان يتم ترقيته بسبب الوضع العائلي البرجوازي. وساهمت هذه التجربة في تعريته للنظام الليبرالي الذي كان سائدا في الغرب ومستقبلا في التعرف على النموذج المعرفي الغربي.

3-3 المسيري والتيار الإسلامي

و بعد التجربة الماركسية التي لم تدم طويلا، و من خلال اكتشافه الفرق بين الجانب النظري للماركسية و ممارسات المناضلين في الأحزاب الاشتراكية والشيوعية ، و لتي تعد من أسباب التغير الفكري للمسيري فيقول عن هؤلاء المناضلين أنهم شخصيات نيتشوية دارونية، لا علاقة لها بالماركسية ولا أي منظومة أخلاقية، بل كثيراً ما كنت أشعر أن بعضهم كان ماركسياً بحكم وضعه الطبقي وحسب وأنه لو سنحت له الفرصة أمامه للفرار من طبقته والانضمام للطبقات المستغلة الظالة لفعل دون تردد وطلق الماركسية طلاقاً بائناً، لكل هذا قدّمت استقالتي، وطلبت أن أعدّ من أصدقاء الحزب لا من أعضائه». وابتعد المسيري عن الفكر الماركسي.

لكن رغم الخرج من الحزب تبقى الأفكار و النظرية الماركسية ساهمت الى حد كبير ، في تنمية أفكار المسيري و خاصة اتجاه الغرب و تعرية أفكارهم ، فتجربته العلمية في وامريكا وخاصة مع التحول الذي عرفته مع انشأ أفكار التحرر ، و التغير الاجتماعي الذي عرفته في الستينات ، ساهمت في رحلته الجديد و التقرب اكثر من الفكر العربي الإسلامي ، و هو يقول ان تعرف عل الله أكثر من خلال العلم و الانسان فالفلسفة المادية في نهاية الأمر، كما قال في بعض أحاديثه، تنكر الحيز الإنساني المستقل، عن الحيز المادي، فالمدخل الطبيعي في تصوري بحسب المسيري للإيمان في عصر المادية والعلمانية، من خلال الرؤية التركيبية لهذا العالم. (عمان، 2024)

4-4 إسلامية علم النفس بمنظور المسييري:

كل العلوم وخاصة علم النفس يستمد خلفياته الفلسفية من الغرب، وهذه الفلسفات هي مسلمات في بناء النظريات النفسية التي تفسر السلوك الإنساني، من التحليل النفسي الى السلوكية و المعرفية ومختلف النظريات، فعلم النفس الاكاديمي الغربي كما وضع مالك البدري في كتابه عن ازمة علماء النفس المسلكين (2010) انه عند دراسة علم النفس الاكاديمي الغربي فانه يجب على اخصائي النفس الملم بذل الجهود لدراسة الخلفية الفلسفية وتاريخ المدرسة السلوكية، كما يجب عليه الاحتراز من التسليم الأعمى لنظريات علم النفس العامة عن السلوك الإنساني وممارسته وحتى وإن قامت إلى حد ما على أسس تجريبية، و كما يجب عليه أن يدرس دراسة نقدية فاحصة المعتقدات المقنعة والافتراضات المحددة بالطابع الثقافي الغربي القابعة خلف قطار هذه النظريات العامة (مالك، 2010، صفحة 36)

و قد وصف هذه المرحلة ببحر الضب و هذا تمثيلا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، و للخروج من هذا الجحر اقترح ثلاث مراحل و التي يمر بها هؤلاء الأخصائيين و هي الافتان ثم الوفاق و أخير الانعتاق، و وصفهم في المرحلة الأخيرة انهم يدركون فيها، أنه على الرغم من أن مدارس علم النفس المعاصرة تتشابه في ظاهرها مع الإسلام في بعض النواحي، إلا أنها ظواهر تختلف تماما عن الإسلام فيما يختص بمفاهيم

الحياة ووضع الإنسان ومصيره في هذا الكون. وعند ذلك يدركون بأنهم مسلمون أولا قبل أن يكونوا أخصائي نفس. وأن أعمالهم ومعرفتهم المحدودة يجب أن تكون في خدمة عقيدتهم وليس عكس ذلك.

و هذا ما نجد جل اعمال المسيري ومحمد عمارة على هذا الجهد و هي مرحلة الانعتاق و تعرية المعتقدات و الخلفيات الفلسفية التي تحتوي العلوم و علم النفس خاصة .

فأعمال المسيري تسعى للإجابة عن السؤال : ما هو الانسان ؟ هل هو مادة ام مادة وشيء اخر .

فمن خلال الإجابة عن هذا السؤال يمكننا ان نعرف النماذج المعرفي للنظرية ، فقد ركز عبد الوهاب المسيري من خلال أعماله على الرؤية الكونية للمعرفة ، و كيفية تصور المعرفة في النموذج المعرفي الغربي، الذي سعى الى البحث عن القانون الذي ييسر و يختزل المعرفة فكل الأمور سهلة واضحة مادية، اما النموذج الإسلامي فيختلف من خلال مفهوم الغيب الذي يجعل الواقع معقد لا يمكن ان يختزل او يشرح بل يفسر وفق ما تم من معطيات.

فالنموذج المعرفي هي منظومة عقلية يتصور انها تشاكل الواقع و قد تم تنظيم هذه الإجابة وفق تصور الانسان لهذه المنظومة، فاذا كان مادي فسيتم

تطوير النظريات و المناهج وفق هذه المنظومة ، فالقيم تتأثر وفق هذا النموذج المعرفي .

وقد ساهم المسيري اكثر في تعرية النماذج المعرفية الغربية و هذا من خلال اتباعه للمتتاليات النماذجية التفسيرية ، و التي وظفها لتفكيك مختلف التحيزات و المعتقدات الموجودة في النموذج المعرفي الغربي ، و قد خلص الى وجود تحيزات يمكن ان نلخصها في :

التحيز الطبيعي المادي على حساب الإنساني : و ها ما ساهم في تصفية الثنائية انسان / طبيعة و أيضا بين الذات و الموضوع، وساهمت في تشيء الانسان فيصف هذا التحيز من خلال ربط السلوك الإنساني بالحيواني فيقول المسيري إذا كان من الممكن شرح سلوك الدجاج في إطار شبكة السببية الصلبة المطلقة ومن خلال الملاحظة البرانية المباشرة ، فلن يكون هذا كافياً بالنسبة للبشر ، والمحاولة الوضعية السلوكية لوصف عالم الإنسان من خلال سلوكه البراني محكوم عليها بالفشل ومحكوم عليها بأن تظل سطحية تافهة .

- التحيز ضد الغائية و اسقاط الابعاد الأخلاقية والنفسية والارادية و هو تبعا للتحيز الطبيعي ، فمن خلاله يتم الغاء العناصر الإنسانية و يمكننا ان نجد في المدرسة السلوكية . من خلال تجاربها الأولية لعلمائها من استخدام الأطفال وتركيزها على البيئة لتفسير السلوك الإنساني .

- التحيز للعام على حساب الخاص و جدها في الصرامة العلمية و تجريد الظواهر من خصوصياتها الى ان تصل الى مستوى تعميمي مما يسمح بصميم قانون علمي رياضي يربط الإنساني بالطبيعي .

- تحيز الموضوعي على حساب الذاتي :الموضوعية هي الإيمان بأن الموضوعات المعرفة وجوداً مادياً خارجياً في الواقع ، وبأن الحقائق يجب أن تظل مستقلة عن قاتليها ومدركيها ، وبأن ثمة حقائق عامة يمكن التأكد من صدقها أو كذبها ، وأن الذهن يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقيقة الواقعية القائمة بذاتها (مستقلة عن النفس المدركة) إدراكاً كاملاً ، وأن بوسعه أن يحيط بها بشكل شامل ، هذا إن واجه الواقع بدون فرضيات فلسفية أو أهواء مسبقة ، فهو بهذه الطريقة يستطيع أن يصل إلى تصور موضوعي دقيق للواقع يكاد يكون فوتوغرافياً . وكلمة «الذاتي» تعني الفردي» ، أي ما يخص شخصاً واحداً ، فإن وصف شخص بأن تفكيره ذاتي

فهذا يعني أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه ، ويُطلق لفظ «ذاتي» توسعاً على ما كان مصدره الفكر لا الواقع ، ومنه الأحكام الذاتية (مقابل الأحكام الموضوعية) وهي الأحكام التي تعبر عن وجهة نظر صاحبها وشعوره وذوقه ، فمعرفتنا بالواقع محدودة تماماً عن طريق خبرتنا الذاتية الخاصة وتجربتنا الفريدة ووعينا وإدراكنا . (المسيري ع.، 1999)

فقد ركز المسيري على المصطلحات ودلالاتها في مختلف الحقول المعرفية فتبنى الموضوعية في علم النفس يكون سببا في تبني النموذج المعرفي الغربي بتحيزاته التي تحدثنا عنها و هذا بتجرد الباحث من خصوصيته الثقافية ومن التزامه الخلقي ومن عواطفه ، و لهذا يسميها موضوعية سلبية تتعامل مع الواقع بحياد، فالظاهرة الإنسانية والاجتماعية تختلف عن الظواهر الطبيعية البسيطة لأنها مركبة ، و الملاحظ ان اغلب الدراسات و الأبحاث النفسية تتجه الى النماذج الكمية الاختزالية ، فيقول المسيري ان الاختزال الامبريقي الوضعي الوظيفي للمنهج العلمي الطبيعي في افاق الرحبة المتجددة ، فان ثمة مناهج أخرى للمعرفة العلمية تبدأ بالملاحظة والمشاركة الملاحظة امتداد الى الحس التاريخي والوعي الذاتي والبصيرة الحدس والفهم الكيفي في السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي الخبرة الإنسانية و ليس بالضرورة ان تلجأ تلك المناهج الى البيانات الرقمية والقياس ، اذ ان تلك الأدوات كثيرا ما تشوه المعرفة بعالم الوعي والخبرة والفهم النوعي للواقع وإمكانات المستقبل ، فضلا عن قصورها عن فهم القيم وديناميات الدوافع والأخلاق. (المسيري ع.، 1999)

فهذه التصورات والتحيزات تعتبر توجيهات المسيري للباحثين في علم النفس من اجل الانعتاق او الخروج من **«جحر الضب»** حسب مالك البدرى.

5- أوجه الشبه والاختلاف في مشروعى الأسلمة عند عمارة والمسيري

من خلال ما تم تقديمه من المشروعات و السرية الذاتية لهما نجد التشابه كبير بين المشروعات ، و يمكن ان نلخصه فيما يلي :

- نقد المشروع المعرفي الغربي المادي وتشخيص التحيزات الثقافية والخلفيات الفلسفية التي تعارض المشروع الإسلامي ، و لوحظ ان التجربة الماركسية لكلاهما ساهمت في هذا النقد، وفي معرفة أيضا ما تحمله التيارات العربية من هذه الخلفيات وخاصة عند الباحثين والاختصاصيين الذين في مرحلة الافتتان والاستلاب للمشروع الغربي

- التركيز على الخلفيات الفلسفية و المرجعيات و التصورات حول طبيعة الانسان في الحديث عن التمايز بين المشروع الإسلامي و الغربي، وخاصة في التمييز بين الانسان و الطبيعة و الله ، فهذا التمايز هو صلب التوحيد الذي يساهم في بناء النموذج الاسلامي.

- اقتراح النموذج الإسلامي كبديل ليس للعالم الإسلامي فقط بل للإنسانية و هذا من خلال الوسطية و الميزان و العدل للبشرية و هذه رسالة الإسلام، فالأسلمة ليس مشروع يتم طرحه لتخصيص فئة من الناس بخصوصية ثقافية فقط ، بل هو الخير للبشرية و العلم الذي يحقق السلام و الامن و الطمأنينة للإنسان و ليس الاستعباد و التشيء و الفناء حسب بعض النظريات الحلولية وخاصة مع السيوالة التي تعرفها ما بعد الحداثة.

أما الاختلاف فنجد في طريقة تطبيق الأسلمة :

فبسبب الخلفية الدينية لمحمد عمارة فنجد يعتمد على الثرات الإسلامي و توليد المصطلحات وغربة المنتج الغربي فيقول : مهمة الاسلمة هي ليس ان نبدأ من جديد بل وصل من انقطع بسبب تخلفنا الذاتي وغزونا الغربي، وإزالة الغبش بسبب الجمود والتقليد الذاتي والمناهج الغربية. و إسلامية المعرفة تحتاج الى مصطلحات إسلامية .

أما طرح المسيري فهو يقول انه تعرف على الله من خلال العلم والبحث عن الانسان، و يقترح ان يكون النموذج الإسلامي توحيدي يساهم في تصميم العلوم وفقه و الهدف من البحوث هو تفسير الظواهر و هذا دون اعتبار الباحث و المبحوث صفحات بيضاء ، بل انسان لديه جانب ظاهري برايني و داخلي جويني حسب عزت بوقفيتش ، و هذا ما يجعلنا لا نبحث عن القانون و التعميم بل على فهم و التفسير دون اهمال مختلف الجوانب التي تعتبر عند البعض شواذا أو في مفهوم القياس النقاط المتطرفة، وخاصة في علم النفس، الذي ركز في جانبه الاحصائي على المتوسط و الدرجات المعيارية في تعريفه للسواء و اللاسواء، فاخترال الظاهرة النفسية يفقدها طبيعتها.

6-الخاتمة:

ساهم عدة رواد في طرح مشروع أسلمة العلوم الاجتماعية و الإنسانية في منتصف القرن العشرين ضمن مشاريع علمية ، و لكن من خلال متابعة تكوينهم العلمي و طروحاتهم نجد اختلافات فكرية في ما بينهم و التي ساهمت في تطوير المشروع ، بل في نقده أحيانا وتقديم البديل الإسلامي ، و من بين هؤلاء نذكر المرحومين محمد عمارة و عبد الوهاب المسيري ، و الذي كانت لهم تجارب متشابهة في تكوينهم من خلال تبنيهم التيار اليساري ، و الذي ساهم في تقديمهم طروحات علمية من خلال نقدهم للنموذج الغربي الطبيعي المادي الوضعي، و لكن من خلال هذه الدراسة نجد اختلافات الطروحات المقدمة لمشروع اسلمة علم النفس ، فالنموذجين الذين تم طرحهما ساهما كل في تخصصه في تطوير المشروع ، فمحمد عمارة رحمه الله ساهم في احياء مشروع التراث الإسلامي الغني و اعتبر ان مشروع الاسلمة وربط الحاضر بالماضي و الاستفادة منه في تقديم تصور للحاضر الذي يتوافق مع الثوابت و العقيدة الإسلامية، ام عبد الوهاب المسيري رحمه الله فمشروعه يركز على أن المشكلة ليست

متعلقة فقط في تزين الكتب و المقالات النفسية ببعض الايات القرآنية و الاحاديث فقط ، بل الى مناهج مختلفة في البحث و اكتشاف التحيزات ، لهذا اقترح النماذج التفسيرية و المنهج الكيفي النوعي في الدراسات و الأبحاث النفسية

المراجع:

عدة بشير1، نور الدين شعنبي2

bachir.adda@univ-mascara.dz

noredline.chaanebi@univ-mascara.dz

Almawaqif

Vol. 20 N°: 02 Mois: Mai

Année 2025

1. اسماعيل الفاروقي. (1995). صياغة العلوم الاجتماعية وفق صياغة اسلامية. الدار العالمية للكتاب الاسلامي.
2. البديري مالك. (2010). ازمة علماء النفس المسلمين. عمان: مركز ديونو لتعليم التفكير.
3. السنوسي محمد السنوسي. (30 06 , 2024). محمد عمارة .. داعية الإسلام وحارس تعاليمه. تم الاسترداد من اسلام اون لاين:
<https://islamonline.net/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D9%88%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8B%D8%A7-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85>
4. المسيري. (30 6 , 2024). المسيري. تم الاسترداد من المسيري:
https://www.elmessiri.com/showpage.php?page_id=1?i=1&selected_item_id=2
5. الهيئة العامة للقران الكريم. (30 6 , 2024). الهيئة العالمية للقران الكريم. تم الاسترداد من الهيئة العالمية للقران الكريم:
<https://turjomanquran.com/turjaman/article/457/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%87%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D9%8B-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%88>

5-

%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%84%D9%8A%D9%8
4-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8

6. عبد المالك مرتضى. (3, 2017). نقد النموذج المعرفي الغربي عند عبد الوهاب
المسيري. مقدمات، الصفحات 111-123.

7. عبد الوهاب المسيري. (1999). موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية نموذج
تفسيري جديد. القاهرة: دار الشروق.

8. عمان. (30, 06, 2024). تم الاسترداد من عمان:
<https://www.omandaily.om/شرفات/عبد-الوهاب-المسيري-مسيرة-فكرية-رائدة>

9. محمد عمارة. (2006). اسلامية المعرفة ماذا تعني. مصر: شركة نهضة مصر للطباعة
و النشر والتوزيع.

10. محمد قطب. (1998). التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية. القاهرة: دار
الشروق.

11. مركز مجدد. (30, 06, 2024). محمد عمارة المفكر المصري الواسطي-مركز
المجدد-الوحدة الثقافية. تم الاسترداد من مركز مجدد للبحوث والدراسات:
[/https://almojaded.com/2020/01/05/6268](https://almojaded.com/2020/01/05/6268)